نظرية التأدب في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة

إعداد

أحمد بن غنيم بن محمد الشمري

باحث في مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغات والعلوم الإتسانية بجامعة القصيم

المستخلص :

ظهرت نظرية التأدب عند اللغويين الغربيين المحدثين، واهتم اللغويون العرب المحدثون في دراسة ظاهرة التأدب؛ حيث عرض بعضهم مناويل اللغويين الغربيين المقترحة في دراسة الظاهرة، وتعددت منقولات اللغويين العرب المحدثين عن ظاهرة التأدب، وكانت لهم آراء خاصة حول دراسة الظاهرة دراسة لغوية حديثة، وتنوعت تطبيقاتهم العملية في دراسة الظاهرة على بعض المحادثات والنصوص الأكاديمية العربية، وقد أثمرت جهودهم في بيان مفهوم الظاهرة وأهمتها في دراسة المحادثات والنصوص الأكاديمية العربية.

الكلمات المفتاحية : التأدب – الدراسات اللغوية - الدراسات المعاصرة

Politeness Theory in Contemporary Arabic Linguistic Studies

Summary

This is the theory of politeness among modern western linguists. Modern Arab linguists have been interested in studying the phenomenon of politeness. Western linguists have presented their own views on the study of this modern linguistic phenomenon, and their diverse applications of the phenomenon have been applied to some Arabic conversations and academic texts. Their collaboration has yielded a clear understanding of the concept and importance of the phenomenon in the study of Arabic academic texts.

Keywords: Politeness - Linguistic Studies - Contemporary Studies

مقدمة

تؤكد بعض الدراسات الحديثة وجود إشارات تخص مفهوم (التأدب) في تراثنا اللغوي العربي؛ حيث تظهر موزعة على مباحث عديدة في البلاغة والتفسير والحديث النبوي الشريف، وتظهر-أيضًا- في كتب التربية والتأديب، مثل: (أيها الولد) لأبي حامد الغزالي، و(أدب الدنيا والدين) لأبي الحسن الماوردي مع التنبيه إلى أمر مهم: وهو الفصل بين التأدب في مفهومه الأخلاقي والسلوكي على وجه العموم، والتأدب بوصفه نظامًا لغويًا[1]، أي: نفرق بين ما كان يقصده علماء العربية القدماء بالتأدب؛ إذ قصدوا منه السلوك الأخلاقي التربوي، الذي كان سببًا في اختيار بعض المفردات والأساليب اللغوية دون غيرها. وعليه يتضمن التأدب بوصفه ظاهرة لغوية حديثة نظامًا لغويًا له طرق خاصة تسهم في تحقيقه؛ حيث يعمد المتكلم إلى استخدامها بهدف الوصول إلى غاية مقصودة هي التأدب مع المخاطب وإظهار الاحترام له.

ويرى بعض الدراسين المحدثين أن التأدب في التراث العربي النحوي والبلاغي ظاهرة لا ترقى إلى مستوى المبحث القائم بذاته، وأن ما نجده عندهم لا يتعدى إشارات عامة مبثوثة ضمن مباحث نحوية وبلاغية[2]. ولا شك أن علاقة السلوك الأخلاقي قائمة بين مفهوم التأدب عند العرب القدماء ومفهوم التأدب بمصطلحه الغربي الحديث، وهو ما يؤكد فضل اللغويين العرب القدماء في إشاراتهم المسجلة حول ظاهرة التأدب، وإذا أردنا المقارنة بين جهود اللغويين العرب القدماء والمحدثين حول ظاهرة التأدب، فإن للعرب القدماء السبق في إشاراتهم لمفهوم التأدب، وللغويين المحدثين الفضل في ملاحظة الظاهرة ووصفها وصفًا دقيقًا، واقتراح المناويل المناسبة لدراستها وفق منهج علمي واضح المعالم.

ودراسة ظاهرة التأدب عند اللغويين العرب المحدثين تنقسم إلى قسمين، يهتم الأول منهما: بدراسة الظاهرة ضمن مفهومها المتداول عند اللغويين العرب القدماء، وهذا النوع من الدراسات لا علاقة له بدراسة الظاهرة وفق مفهومها اللغوي الحديث؛ لأنه معتمد على الجانب السلوكي أو الأخلاقي في دراسة الظاهرة. والقسم الثاني: دراسات تناولت ظاهرة (التأدب) وفق مفهومها اللغوي الحديث. والنوع الأخير من الدراسات هو المقصود دراسته في هذا البحث،

[1] نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، بروان ولنفنسن، ت. هشام الخليفة، ص 45 (دار كنوز، عمان، 2023م).

[2] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، ص 116 (2014م).

وهو ما يدفعنا إلى البحث عن إجابة للتساؤلات الآتية:

ما مفهوم ظاهرة التأدب في الدراسات اللغوية العربية؟ وما أثر ظاهرة التأدب في الدراسات اللغوية العربية الحديثة؟ وهل يُمكن دراسة الظاهرة في النصوص الكتابية أم تقتصر دراستها على المحادثات فقط؟ وهل يُمكن دراسة المدونات العربية بوساطة مناويل التأدب الحديثة؟ وما أهم آراء اللغويين العرب تجاه ظاهرة التأدب؟ وما أهم التطبيقات العربية الحديثة لظاهرة التأدب؟

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تتبع دراسة ظاهرة التأدب عند اللغويين العرب المحدثين، والتعرف على أهم آرائهم وتطبيقاتهم اللغوية تجاه الظاهرة، بوصفها ظاهرة لغوية حديثة الدراسة في ميدان البحث العربي الحديث، وتسليط الضوء على الجهود العربية تجاه ظاهرة التأدب، يُسهم-بلا شك-في تشجيع الباحثين العرب على مواصلة الجهود في دراسة ظاهرة التأدب؛ لإثراء المكتبة العربية بما يُستجد من دراسات لغوية حديثة.

أهداف البحث:

- إبراز جهود اللغويين العرب المحدثين في دراسة ظاهرة التأدب.
- الكشف عن أثر ظاهرة التأدب في بعض المحادثات والنصوص العربية.
- بيان إمكانية دراسة ظاهرة التأدب في المدونات العربية وفق مناويلها اللغوية الحديثة.
- التعرف على الإضافات الأخيرة لظاهرة التأدب في المكتبة العربية.

الدراسات العربية الحديثة لظاهرة التأدب اللغوية:

أسهمت بعض الدراسات العربية الحديثة في دراسة ظاهرة التأدب وفق مفهومها اللغوي الحديث، ومنها:

1-نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، (2014م).

2-تداولية مبدأ التأدب في إنجازيه الفعل الكلامي، عبدالحليم بن عيسى، رفوف، العدد9، (2016م).

3-البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد 7، (2018م).

4-تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، (2021م).

5-الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).

تمهيد

-مفهوم ظاهرة التأدب.

تناول اللغويون مصطلح التأدب في الدرس اللساني الحديث باعتباره أحد مكونات بناء المحادثة، وحاولت (لاكوف) تعريفه بأنه: "وسيلة تُستقلّ بها مخاطر المواجهة عند التخاطب (...) وتتّجه إستراتيجتها بخاصّة إلى تسهيل التّفاعل"[1]، ويقرر (ليش) أنه: "يخصّ العلاقة القائمة بين طرفي (التّفاعل) وهما الذّات والآخر"[2]، وعرّفته (أوركيوني): "بما يتواضع عليه أفراد الجماعة اللغوية من طرائق تكون الغاية من استعمالها صيانة العلاقة التفاعلية بين المتكلمين من كل ما يتهددها من مظاهر الاختلاف الموجودة بالقوة ساعة يحدث اللقاء ويكون التفاعل"[3]، وقد عرّفه بعضهم بوصفه قانونًا: "يفضي إلى تأويل قول على أساس أنّه يعبّر أكثر من دلالته الحرفيّة"[4]، ويصف بعض اللغويين مفهوم (التأدب): " باعتباره مجموعة من الاستخدامات اللغوية المتعارف عليها (صيغ الشكر، صيغ الاعتذار، صيغ النقد الملّطف، صيغ الطلب، صيغ المخاطبة...) داخل جماعة لغوية، يتمثّل دورها في الحفاظ على قدر من الانسجام خلال التفاعل بين المتكلّمين، تجنّبا لما يمكن أن يترتّب على كلّ لقاء واحتكاك من أخطار ممكنة جرّاء عدد من الأعمال اللّغويّة التي لا مناص للمتكلمين من إتيانها التي تهدّد بالقوّة ماء وجه المتكلّم أو المخاطب أو كليهما معا، من نحو الأمر والسؤال والاعتذار"[5].

[1] الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، من ص 306 إلى ص 307 (جامعة الملك سعود، الرياض، 2021م).
[2] المرجع السابق، 307.
[3] الخطاب التفاعلي، كاترين كيربرات أوريكيوني، ترجمة حاتم عبيد، فصول، العدد 77، ص 299 (2010م).
[4] القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، ص 235 (دار سيناترا، تونس، 2010م).
[5] البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية من وجهة نظر لسانية تداولية: نظرية التأدب أنموذجًا، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد 2، ص 121 (2015م).

المطلب الأول: جهود اللغويين العرب المحدثين المتمثّلة في النقل.

ظهر مصطلح (التأدب) بمفهومه الحديث في بداية السبعينيات لدى اللغويين الغربيين[1]، وانبثق عن هذا المفهوم حقل جديد في البحث اللساني، وقد نتج عن هذا الحقل الجديد بحوث لسانية متعددة[2]؛ حيث عالجت هذه البحوث مفهوم (التأدب) بوصفه قانونًا خطابيًا ومكونًا إبلاغيًا[3]، وقد تعاقبت على دراسة هذا المفهوم مناويل لسانية متعددة، وهو ما يسمح لنا أن نطلق عليه مسمى (نظرية)؛ لتعدد المناويل اللسانية المقترحة في دراسة الظاهرة. وقد تطورت هذه الجهود العلمية وفق المفهوم الحديث للظاهرة، وهذا ما دعا اللغويون العرب المحدثين إلى الاهتمام بآراء اللغويين الغربيين المتعلقة بظاهرة (التأدب) اللغوية؛ حيث بدأت حركة نقل هذه الآراء الغربية وترجمتها إلى المكتبة العربية في نهاية التسعينيات من القرن العشرين.

ظاهرة التأدب بين النظرية والمبدأ ومقارنة للتراث اللغوي العربي:

ظهرت أول منقولات عن ظاهرة التأدب مع (طه عبدالرحمن) في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) المنشور سنة (1998م)؛ حيث نقل عن (لاكوف) في مقال لها بعنوان (منطق التأدب)، ولم يطلق مسمًّى محددًا لمنوال لاكوف واكتفى بترجمته إلى (مبدأ)، أي: مبدأ التأدب مع ذكر قواعده الثلاث المقترحة، وربما هذا السبب الذي جعل الباحثين اللغويين العرب المحدثين يطلقون مسمى (مبدأ التأدب) على مناويل التأدب عند اللغويين الغربيين ، وانتقلت هذه التسمية بعد ذلك إلى ظاهرة التأدب بأكملها؛ إذ يسميها معظمهم: (مبدأ التأدب)، والحقيقة أن هناك فرقًا بين (النظرية) و(المبدأ)؛ إذ يمكن إطلاق (المبدأ) على ما يقترحه اللغوي من قوانين في معالجة قضية لغوية حديثة الدراسة، ولم يسبق لأحد اقتراح منوال لدراستها، مثل: مبدأ (التعاون) لدى (غرايس)، وإذا تعددت المناويل المقترحة على دراسة قضية لغوية معينة، فإنها تنتقل-من وجهة نظري-إلى مستوى الظاهرة، وهذا ما يسمح لنا تسميتها بـ(النظرية)، وقد أطلق (طه عبدالرحمن) مسمى (مبدأ التواجه) على منوال (بروان ولنفسن)، وأخذ ينقل مقترحات منوالهما تحت مسمى (الخطط الخطابية المتفرعة على مبدأ التواجه)، مع محاولة توضيح بعض المفاهيم، مثل: (الوجه/التهديد)، ونقل-أيضًا-آراء (ليش) في منواله المقترح: (مبدأ التأدب الأقصى

[1] تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، ص 244 (2021م).
[2] معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومنيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، ص 428 (المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008).
[3] القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، ص 235 (دار سيناترا، تونس، 2010م).

واعتبار التقرب)[1]، وحاول توضيح ما يُمكن إيضاحه حول جهود اللغويين الغربيين تجاه ظاهرة (التأدب)، ويتضح من خلال ترجمته لمناويل الظاهرة اعتماده على المقارنة مع جهود علماء اللغة العرب القدماء؛ ويبدو أن الهدف من ذلك: تأصيل هذه الظاهرة بمد جذورها إلى تراثنا العربي، وعليه اقترح منواله (الصدق)، لكنه لم يتطرق إلى تعديلات (أركيوني) على منوال (بروان ولنفسن)، رغم أسبقية هذه التعديلات لمنشوره وشهرتها في ميدان البحث اللغوي الحديث، وقد يكون السبب في ذلك: اقتراحه منوال (الصدق) الخاص به، فلا داعي-من وجهة نظره-إلى ذكر تعديلات على منوال لا يراه أصلًا في الظاهرة كما سنراه لاحقًا مع آرائه. ويتضح مما سبق أن الفضل لطه عبدالرحمن في أسبقية النقل، وقد استفادت دراسات كثيرة من نقله لظاهرة التأدب اللغوية عند الغربيين.

مفهوم ظاهرة التأدب عند اللغويين الغربيين:

نقل (ظافر الشهري) في كتابه (إستراتيجيات الخطاب) مفهوم التأدب عند لاكوف في مقالها المشهور (منطق التأدب)[2]، ورأيها في أن الجمل تعكس توجه المرسل نحو سياقه الاجتماعي في الحالات المعقدة، وأنه يجب اعتبار المحتوى الدلالي للعمل اللغوي في الحكم على قبول الجملة[3]، ويستمر ظافر الشهري في نقل آراء اللغويين الغربيين حول ظاهرة (التأدب) اللغوية، بدءًا مما اقترحته (لاكوف) من قواعد لـ(التأدب) ومرورًا بمفهوم (الوجه) عند (بروان ولنفسن) إلى خاتمة عمله الخاص بالتأدب في عرض منوال (التأدب الأقصى) عند (ليش)[4]، وعليه يُعد ظافر الشهري من أوائل اللغويين العرب المحدثين الذين خدموا ظاهرة التأدب اللغوية بالنقل والترجمة.

ونقل (عبدالقادر المهيري) و(حمادي صمود) في ترجمة كتاب (معجم تحليل الخطاب) تحت عنوان: (ملطِّف) مفهوم مصطلح التأدب، بقولهما: "يندرج هذا المفهوم في إطار نظرية آداب المعاملة مؤخرا (بروان ولفنستن 1978، 1987) في مجال التداولية وتحليل التفاعلات"[5]، أي مفهوم مصطلح التأدب عند (بروان ولنفسن)، ويؤكد ذلك ما نقلاه عن أساليب التأدب، بقولهما: "وأساليب التلطيف...من

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، من ص 240 إلى ص 247 (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م).
[2] إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، 97 (دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، 2003م).
[3] المرجع السابق، ص 98.
[4] المرجع السابق، من ص97 إلى ص 114.
[5] معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومنيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، ص 30 (المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008).

طبيعة شديدة التنوع: فهناك أساليب معجمية، وأخرى صرفية تركيبية، وأخرى تنغيمية"[1]، وينقلان عن المؤلف بعض الأمثلة الموضحة، ومنها بناء العبارة للمجهول، مثل: (لا يُدخن هنا)[2]، إضافة إلى بعض الأساليب اللغوية المتعلقة بظاهرة التأدب؛ لتوضيح مفهومها في ميدان البحث اللغوي الحديث.

وينقل مجموعة من الأساتذة العرب عن (التأدب)، ضمن عنوان جانبي (قانون التلطيف) في ترجمة كتاب (القاموس الموسوعي للتداولية) تحت إشراف (عزالدين المجدوب)، بقولهم: "قانون التلطيف الذي يوافق مبدأ الإبلاغية لـ"ليفنسن"...يفضي إلى تأويل قول على أساس أنه يعبّر أكثر من دلالته الحرفيّة"[3]، ويستمر الشرح في توضيح ظاهرة التأدب اللغوية، بوصفها ظاهرة تتجاوز دلالتها الدلالة الحرفية؛ بقصد تلطيف الكلام أو تهذيبه مع الطرف الآخر.

وتتصدر أعمال (حاتم عبيد) منقولات اللغويين العرب المحدثين عن ظاهرة التأدب؛ لأهميتها في توضيح الظاهرة وشرحها، وقد تميزت منقولات (حاتم عبيد) بالتنوع؛ حيث نقل بعض المفاهيم المهمة في شرح الظاهرة، ومن أشهر أعماله في هذا الجانب دراسة عنوانها (التفاعلات القولية) لـ(كاترين كيربرات أوركيوني)؛ حيث نقل تعريفها للظاهرة بأنها: "طرائق تكون الغاية من استعمالها صيانة العلاقة التفاعلية بين المتكلمين من كل ما يتهددها من مظاهر الاختلاف الموجودة بالقوة ساعة يحدث اللقاء ويكون التفاعل"[4]. وينقل-أيضًا-رأي المؤلفة في أن دراسة مفهوم التأدب له قدرة على تفسير أبعاد لغوية مهمة في التفاعل الخطابي، وخاصة تلك التي لا نجد لها جوابًا في النظريات اللسانية، إضافة إلى تفسيره عددًا من الأعمال اللغوية غير المباشرة، والتي لا نجد تبريرًا لإنجازها من قبل المتكلم إلا في ضوء المفهوم الحديث للتأدب. وينقل-أيضًا-رأي (أركيوني): بأن للمدرسة الأمريكية فضلًا في دراسة ظاهرة (التأدب)؛ حيث مثّلت جهودهم نقلة نوعية أدت إلى كثافة البحث حول ظاهرة التأدب، وارتقاؤه إلى متصور علمي، يتم تناوله وفق أطر نظرية مختلفة[5]، ويستمر حاتم عبيد في النقل آراء المؤلفة الخاصة بالتأدب، والتي أسهمت-بلا شك-في وصف الظاهرة وتوضيح مفاهيمها، ولم يقف حاتم عبيد في نقله عند حدود المنقولات التي تصب في مفاهيم ظاهرة التأدب ضمن المحادثة، بل تميّزت منقولاته بالتنوع؛ حيث نقل آراء مهمة تؤكد وجود الظاهرة في الكتابة الأكاديمية، وقد شرح ذلك في دراسة عنوانها:

---

[1] المرجع السابق، ص 31.
[2] المرجع السابق، ص 31.
[3] القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، ص 235 (دار سيناترا، تونس، 2010م).
[4] الخطاب التفاعلي، كاترين كيربرات أوريكيوني، ترجمة حاتم عبيد، فصول، العدد 77، ص 299 (2010م).
[5] المرجع السابق، ص 300.

(البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي)، وقد نقل فيها بعض الآراء المهمة لـ(غراغ مايرز)؛ حيث يعود الفضل له في إبراز ظاهرة (التأدب) ضمن الكتابة الأكاديمية في دراسة له بعنوان: (تداولية التأدب في المقالات العلمية)[1]، وقد أشار إلى استغراب مايرز عدم وجود دراسات تتناول ظاهرة (التأدب) اللغوي في نصوص مكتوبة، وهو ما يُشير إلى اتساع هذه الظاهرة اللغوية؛ لتشمل المحادثات وأعمال الكتابة[2]، وقدم حاتم عبيد دراسة عنوانها: (نظرية التأدب في اللسانيات التداولية)، شملت المناويل المقترحة في دراسة الظاهرة، إضافة إلى نقد أركيوني لمنوال براون ولفنسن، وما اقترحته من تعديلات مهمة حول منوالهما الكوني[3].

وترجم (عبدالرحمن الفهيد) كتابًا لـ(براين بالتريدج) عنوانه (تحليل الخطاب)، وقد ناقش المؤلف مفاهيم تخص ظاهرة التأدب تحت عنوان جانبي (التأدب والوجه والخطاب)، يقول فيه: "التأدب والوجه مهمان لفهم سبب اختيار الناس قول أشياء بطريقة معينة في الخطاب المكتوب أو المنطوق."[4]، ويشير المؤلف إلى قضيتين متعلقتين بمفهومي (التأدب) و(الوجه)، هما (المشاركة) و(الاستقلال)؛ حيث يشير مفهوم (المشاركة) إلى حاجة الناس لمشاركة الآخرين، وتعني حق الشخص وحاجته في أن يُنظر إليه على أنه طبيعي ومساهم وعضو داعم للمجتمع، ويشير مفهوم (الاستقلال) إلى حرية الشخص وعدم إكراهه أو الفرض عليه[5]، وتُعد مشاركة عبدالرحمن الفهيد إضافة مميّزة؛ حيث لم يسبقه أحد إلى بيان علاقة هذين المفهومين بظاهرة (التأدب) اللغوية.

ظاهرة التأدب من المفهوم الدوني إلى متصور علمي.

نقل (سوادغو هارون) رأي (بالي) في كتاب له بعنوان (اللغة والحياة)، يقول فيه: "التأدّب يترك بصماته على جزئيات عميقة من النحو، ويمكن أن نذكر مثالا على ذلك في الفرنسية جمع التأدّب إلى جانب الاستعمالات المشوبة بدقائق الجهة، كاستعمال المستقبل وأسلوب الشرط في الاستفهامات التي تتضمن معاني طلبية"[6]، ونقل عن (بيرنرد قاردن) رأيه في بيان سبب الاهتمام البالغ بظاهرة (التأدب)؛

[1] البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد 7، ص 101 (2018م).
[2] المرجع السابق، من ص102 إلى ص 103.
[3] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، من ص 114 إلى ص 150 (2014م).
[4] تحليل الخطاب، براين بالتريدج، ترجمة: د.عبد الرحمن الفهد، ص 67 (دار جامعة الملك سعود، 2018).
[5] المرجع السابق، من ص 67 إلى ص 73.
[6] الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، ص 303 جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).

حيث يرى أن (التأدب) تخطى مرحلة المفهوم الدوني أو البدائي إلى مفهوم التصور العملي[1]، ونقل عن (قوفمان) مفهوم الوجه الاجتماعي مترجمًا قوله: "كل ما يسلكه المرء لكيلا تتسبب أفعاله في إراقة ماء وجه أحد بما فيه وجهه"[2]، ويؤكد ذلك بنقله رأي (أركيوني) عن الوجه، تقول: "إذ هو من عنُي بصياغته في قالب نظريّة في العصر الحديث"[3]، ويستمر الباحث في ترجمة بعض آراء اللغويين الغربيين حول ظاهرة التأدب؛ لتوظيفها بما يتناسب ومضمون بحثه.

ظاهرة التأدب مع أهم مناويل اللغويين الغربيين:

إذا أردنا الحديث عن المنقولات المتميزة لظاهرة التأدب، فإنها ترجمة (هشام الخليفة) لكتاب (نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة) لمؤلفيه بروان ولنفنسن؛ ولأن هذا الكتاب مهم في دراسة الظاهرة، فإن ترجمته إلى العربية أهم، وقد اجتهد المترجم في عمله؛ بغية تسهيل النقل أو الترجمة على القارئ العربي، وينقسم الكتاب إلى خمسة أقسام، خُصصت الأقسام الأربعة الأولى منه للجانب النظري، وخُصص القسم الخامس للجانب التطبيقي، ولم يقف هشام الخليفة في ترجمته عند حدود النقل الحرفي لمحتوى الكتاب، بل اجتهد في ترجمة بعض المصطلحات بما يتوافق مع رؤيته في النقل، ومثال ذلك: ترجمته لمصطلح (التلويح الحواري) بدلًا من الترجمة الدارجة لمصطلح (الاستلزام الحواري)[4]، إضافة إلى المسرد الألفبائي لبعض المصطلحات المترجمة إلى العربية في آخر الكتاب.

هذه أهم منقولات اللغويين العرب المحدثين عن ظاهرة التأدب، ولا تزال جهودهم مستمرة في ترجمة كل ما يُستحدث ضمن إطار النظريات اللسانية الحديثة.

[1] المرجع السابق، ص 306.
[2] المرجع السابق، ص 331.
[3] المرجع السابق، ص 322.
[4] نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، بروان ولنفنسن، ت. هشام الخليفة، ص 34 (دار كنوز، عمان، 2023م).

المطلب الثاني: آراء اللغويين العرب المحدثين في ظاهرة (التأدب).

آراء طه عبدالرحمن في ظاهرة التأدب.

تعددت آراء اللغويين العرب المحدثين تجاه ظاهرة التأدب، وجاءت في مقدمتها آراء طه عبدالرحمن في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)؛ حيث ظهرت آراؤه في المفاضلة بين جهود اللغويين الغربيين فيما قدموه من مناويل تعالج هذه الظاهرة، ويتضح رأيه الشخصي في تفضيل ما اقترحه على مقترحاتهم ومناويلهم الخاصة بالتأدب؛ أن التخاطب بنية تفاعلية تقوم على نوعين من المبادئ: مبادئ (تواصلية) وأخرى (تعاملية)، يقول: "إن أهم مبادئها التي تقررت عند المشتغلين بالنظر في الكلام الإنساني خمسة: "مبدأ التعاون" و"مبدأ التأدب" و"مبدأ التواجه" ومبدأ التأدب الأقصى" و"مبدأ التصديق"، وقد وضحنا أن هذه المبادئ تتفاضل فيما بينها تفاضلا، فمبدأ التأدب يفضل مبدأ التعاون بتقعيده للجانب التهذيبي..."[1]، وبهذا يتضح أن رأيه مبني على أساس من القواعد الموظفة في تحقيق الظاهرة، ولم يقف طه عبدالرحمن عند بيان أثر هذه الظاهرة اللغوية في المحادثة، بل تجاوز ذلك إلى اقتراح منوال تأدبي عربي قائم على أساس من التراثي العربي الإسلامي؛ إذ حاول من خلاله محاكاة مناويل اللغويين الغربيين، وقد سماه مبدأ (التصديق)، يقول: "أما المبدأ التداولي الخامس، فهو ما نسميه بـ"مبدإ التصديق"، وقد اتخذ هذا المبدأ الراسخ في التراث الإسلامي صورا مختلفة..."[2]، ويرى أن مبدأ التصديق أصل مبادئ التأدب عند الغربيين وأفضلها، وفيه يقول: "فيكون بذلك أفضل المبادئ وأكملها جميعا، ولا عجب أن يكون هو الأصل الذي تقرر في الممارسة التراثية الإسلامية العربية، إذ معاناتها للتخاطب كانت أصدق حالا وأفسح مجالا، وبالتالي لا بد أن يكون نظر أهلها في التخاطب أصح حكما وأبلغ أثرا..."[3]، يقصد بذلك مبدأ التصديق، أي: أن مبدأ التصديق الذي اقترحه يفضل مناويل اللغويين الغربيين ومتفضل عليها؛ حيث الأصالة في وصف الظاهرة مقارنةً بالمناويل الأخرى، إضافة إلى ما يملكه مبدأ التصديق من قدرة كافية في الكشف عن قواعد التأدب. والحقيقية أن هذا رأي يحتاج إلى توقف ونظر؛ حيث يتضح من خلال هذا الرأي نسف جهود اللغويين الغربيين تجاه ظاهرة التأدب، وبالتالي عدم الاعتراف بتطور الحركة العلمية الحديثة لعلم اللغة، ومن جهة أخرى يصعب على دارسي اللغة الكشف عن ظواهر لغوية حديثة بوساطة إشارات مبثوثة في مؤلفات اللغويين العرب القدماء،

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، ص 253 (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م).
[2] المرجع السابق، ص 249.
[3] المرجع السابق، ص 253.

فالفضل لعلماء اللغة المحدثين في إبراز الظواهر اللغوية الحديثة وإظهارها وفق منهج علمي واضح المعالم.

آراء ظافر الشهري في ظاهرة التأدب.

يبدي ظافر الشهري آراءه حول ظاهرة التأدب في كتابه: (إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية)؛ إذ يرى وجود تنافس بين قاعدتي (الوضوح) و(التأدب)، ويتضح هذا التنافس من خلال حضور إحدى القاعدتين دون الأخرى حسب السياق، ويرى غلبة قاعدة التأدب في الحوارات غير الرسمية، وغلبة قاعدة (الوضوح) في الحوارات الرسمية[1]، وقد أشار إلى قصور منوال (لاكوف)، يقول: "وتدّعي (لاكوف) أن لقواعدها الصبغة الكليّة"[2]، أي: إن منوال لاكوف قاصر في معالجة الظاهرة، ويظهر رأيه-أيضًا-في مبدأ (الوجه)، يقول: "منذ القدم، والناس يعتبرون الوجه رمزا يمثّل المرسل"[3]، ثم أردف كلامه بدليل من التراث العربي لسعيد بن العاص ؛ ليؤكد أهمية (الوجه) في ظاهرة التأدب.

آراء حاتم عبيد في ظاهرة التأدب.

إذا أردنا تسليط الضوء على الآراء العربية الحديثة حول ظاهرة التأدب، فإن آراء حاتم عبيد تأتي في مقدمتها؛ إذ تظهر آراؤه فيما قدمه من دراسات لغوية حديثة خاصة بظاهرة التأدب، ومنها قوله: "والتأدب يُعدّ إلى جانب الأعمال اللغوية من أهم المواضيع التي بدأت نهاية سبعينيات القرن الماضي تستقطب اهتمام اللسانيين التداوليين، وتتحول شيئا فشيئا إلى حقل جديد للبحث..."[4]، ويتضح من خلال رأيه أهمية موضوع التأدب في الدراسات اللغوية الحديثة، ويرى أهمية دراسة ظاهرة التأدب بعيدًا عن النزعة المعيارية، يقول: "من هذا المنطلق رأينا أن نتعقّب نظرية التأدب في أبرز الأطوار التي مرت بها وأشهر الأعلام الذين مثلوا بحق محطات مهمة ومنعطفات تاريخية حاسمة في دراسة التأدب دراسة لغوية وصفية تنأى عن النزعة المعيارية التي ظلت إلى عهد غير بعيد والتي تناولت التأدب سلوكا اجتماعيا..."[5]، أي: من الضروري الابتعاد عن الطريقة التقليدية في دراسة ظاهرة التأدب بوصفها ظاهرة سلوكية أو أخلاقية عامة، وعليه فإن رأيه يخلص إلى ضرورة الاطلاع على آراء اللغويين

[1] إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 100 (دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، 2003م).
[2] المرجع السابق، ص 103.
[3] المرجع السابق، ص 103.
[4] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، ص 114 (2014م).
[5] المرجع نفسه، ص 114.

المحدثين في ظاهرة التأدب، والتي تسير وفق منهج علمي واضح دون إنكار لجهودهم المبذولة في ميدان البحث اللغوي الحديث، وقد طرح حاتم عبيد رأيه في مبدأ التصديق الذي اقترحه طه عبدالرحمن تأكيدًا على ما سبق، يقول: "وحتى طه عبدالرحمن لم يستطع أن يتخلص من أثر هذه النزعة المعيارية حين عرض نظرية التأدب عند التداوليين، وحين نقدها وقدم بديلا عربيا إسلاميا عنها"[1]؛ ليؤكد برأيه الأخير أهمية رأيه الأول في النظر إلى ظاهرة التأدب بوصفها ظاهرة لغوية حديثة، ويرى حاتم عبيد أن التأدب في التراث النحوي والبلاغي العربيين ظاهرة لا ترقى إلى مستوى المبحث القائم بذاته؛ حيث لا يتجاوز الإشارات العامة المبثوثة ضمن مباحث نحوية وبلاغية[2].

آراء عبد الحليم بن عيسى في ظاهرة التأدب.

جاءت آراء عبدالحليم بن عيسى حول ظاهرة التأدب في مقاربة آراء طه عبدالرحمن؛ إذ سار على خطاه في معالجة الظاهرة وفق مبدأ التصديق، ويرى انقسام بن عيسى منوال (الصدق) إلى قسمين: صدق لغوي وصدق تداولي، وأن قواعد التأدب متنوعة حسب معطيات سياق الموقف المنتج للخطاب[3]، ويرى أن التأدب في الخطاب يتحقق بالتمكن من قواعد اللغة النحوية والصرفية، إضافة إلى معرفة مقامات اللغة ومقتضياتها التعبيرية، وما يتعلق بأمثال العرب وأقوالها[4]، ورأيه في ضرورة معرفة أطراف الحوار في أمثال العرب وأقوالها رأي صائب؛ حيث لا يمكن الوصول إلى مقصود المتكلم من التلويحات الحوارية المعتمدة على استخدام الكنايات أو الاستعارات دون التعرف عليها، ويرى أن ما قدمه علماء العربية "قد جعلت قواعد (التأدب) تكتسي سمات خاصة، تغذيها المعطيات اللغوية والاجتماعية والعقدية المتنوعة المشارب"[5].

آراء خليفة الميساوي في ظاهرة التأدب.

يرى خليفة الميساوي أن التأدب "مكونًا من مكونات بناء المحادثة وقانونا من قوانين إنتاجها اللسانية وغير اللسانية"[6]، وأن التأدب أحد مستلزمات التواصل المتحكمة في نجاح عملية التفاعل في المحادثة أو فشلها، ويمثّل التأدب والتفاعل-في نظره-شرطين أساسيين للتواصل، بل يمكن اعتبار التواصل وليد

[1] المرجع السابق، ص 115.
[2] المرجع السابق، ص 116.
[3] تداولية مبدأ التأدب في إنجازيه الفعل الكلامي، عبدالحليم بن عيسى، رفوف، العدد9، ص 19 (2016م).
[4] المرجع السابق، ص 12.
[5] المرجع السابق، ص 22.
[6] تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، ص 244 (2021م).

لهما، ويرى أن نظام التأدب يمثّل مدخلًا رئيسًا في فهم عملتي التفاعل والتواصل في المحادثة[1]، كما يرى أهمية السياق في إنجاز العمل التأدبي أثناء تحليل المحادثة، يقول: "خاصة أنه حسب رأينا لا توجد حدود فاصلة ومقننة بدقة بين الأفعال الكلامية المهددة لماء الوجه والأفعال الكلامية والأفعال الكلامية المادحة له، إذ يتعلق الأمر بالمؤثرات السياقية والاجتماعية والثقافية التي يعتمد عليها المشارك في إنجاز أي فعل كلامي تأدبي..."[2]، ويقترح الميساوي إضافة إستراتيجيات توجه المتكلم في إنتاج أفعال كلامية تأدبية، يقول: "ويمكن أن نضيف إلى ما توصلت إليه المقاربات السابقة مجموعة من الإستراتيجيات انطلاقا من تحليلنا للمحادثة نضبطها على أساس سلم تراتبي يوجه اختيارات المتكلم إلى إنتاج أفعال كلامية تأدبية"[3]، وهي: (الهدف، التفاعل، الإقناع، التواصل)[4].

آراء سوداغو هارون في ظاهرة التأدب.

يرى سوادغو هارون أن التأدب ظلّ على هامش النحو كما كان مهملًا عند اللسانيين باستثناء حالات يسيرة، تمثّلت في رأي (بالي) المطروح في كتابه (اللغة والحياة)، وأن سبعينيات القرن العشرين، كانت فترة ظهور التأدب بوصفها ظاهرة لها اعتبار لساني، وأن ظهوره كان نتيجة الدراسات المهتمة بموضوع التأدب اهتمامًا حقيقيًّا، أي: أن الدراسات التي عالجت الظاهرة في تلك الحقبة كانت مؤثرة ونافعة في تكوين حقل بحثي حقيقي[5]، ويرى أن هدف المشتغلين عليها يتمثّل في أمرين اثنين:

الأول: محاولة بناء نموذج عام للتأدب بوساطة رصد قواعده في نظام موحد.

الثاني: إجراء دراسات وصفية كثيرة ودقيقة لمعرفة كيفية اشتغال هذه القواعد في التفاعل، أو بالأحرى في مختلف أنماط التفاعلات التي عرفتها المجتمعات المختلفة[6]. ويرى هارون أن قضية اختلاف قواعد التأدب من مجتمع لآخر لا تزال محل نقاش بين الباحثين[7]، ويشمل التأدب-في نظره-

[1] المرجع السابق، ص 244.
[2] المرجع السابق، ص 270.
[3] المرجع السابق، ص 268.
[4] المرجع السابق، ص 269.
[5] الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، من ص 303 إلى ص 304 جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).
[6] المرجع السابق، ص 305.
[7] المرجع السابق، ص 305.

خطوات مختلفة مثل: (الصياغة غير المباشرة للأفعال الكلامية، والاستعمالات ذات الأبعاد التداولية)، من قبيل: (النعت، وأسلوب الشرط)؛ حيث يشكل مجموعها نظام التأدب[1].

آراء هشام الخليفة في ظاهرة التأدب.

وقد ظهرت آراء هشام الخليفة عن ظاهرة التأدب في ترجمته لكتاب (نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة) لمؤلفيه (براون ولنفسن)؛ إذ يرى أن هذا الكتاب مهم وخطير في بابه، أي: في باب التأدب، وأنه يُعد الكتاب التأسيسي في نظرية (التأدب)[2]، وقد تميزت آراء هشام الخليفة بتصحيح بعض المصطلحات المترجمة لمفاهيم خاصة بظاهرة التأدب، وتدقيق بعض المفاهيم مثل مفهوم (الوجه) وفيه يقول: "وبما أن الحوار يجري بين متكلم ومخاطب فإن مفهومي الوجه يتوزعان عليهما"[3]، أي: الوجه الإيجابي والوجه السلبي، ويوضح-أيضًا-مفهوم السلبية، بقوله: "إن كلمة سلبي لا تحمل أي مضامين سلبية وإنما سمي تأدبًا أو وجهًا سلبيًا لأنه يعبر عن رغبة في عدم حصول شيء للفرد أو عن الرغبة في أن لا يحصل الشيءُ"[4]، أي: عدم حصول الشيء السلبي، ويرى أن (الوجه) شيء يوظف انفعاليًا ويمكن أن يُفقد أو يُحفظ أو يُعزز، وأن من الواجب الاهتمام به في التفاعل[5]، وقد شارك هشام الخليفة في بيان مفهوم (الفعل المهدد للوجه)، ولم يقف عند حدود توضيح المفهوم[6]، بل حاول تطويع بعض المصطلحات المتعلقة بالتأدب عن طريق اختصار مفهوم (الفعل المهدد للوجه) بـ(فمو)، يقول: "وصيغته المختصرة باستخدام الحروف الاستهلالية (فمو)... طوّعتُ المصطلح المختصر إلى اللغة العربية فاستعملتُ للجمع (فموات) وللمثنى (فموين)"[7]، والحقيقة لسنا بحاجة في العربية إلى اختصار المصطلحات بهذه الطريقة؛ فلم يعتد القارئ العربي على مثل هذه الاختصارات المشتتة للفهم أثناء القراءة، وربما تناسب هذه الاختصارات بعض اللغات بينما لا تناسب رسم العربية متصل الحروف. وعن مشاركته في توضيح المصطلحات المتعلقة بالتأدب، يرى أن مصطلح (الاستلزام الحواري) لـ(غرايس) ليس صحيحًا في ترجمته العربية، والصحيح أن يُترجم إلى (التلويح الحواري)، يقول: "ويؤسفني أن أكون مضطرًا لذكر بعض المصطلحات التي شاعت وجرت على الألسن على الرغم من

[1] المرجع السابق، ص 309.
[2] نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، بروان ولنفنسن، ت. هشام الخليفة، ص 23 (دار كنوز، عمان، 2023م).
[3] المرجع السابق، ص 28.
[4] المرجع السابق، ص 27.
[5] المرجع السابق، ص 29.
[6] المرجع السابق، ص 28.
[7] المرجع السابق، ص 37.

عدم صحتها"[1]، ويرى أن ترجمة مصطلح التأدب بمسميات أخرى غير مناسب، يقول: "المصطلحات الشائعة لترجمة المصطلح مثل (التهذيب/المداراة/التلطف/الحياء/المجاملة) فهي في رأيي غير مناسبة ولا كافية إذ إنها تتناول بعض جوانب التأدب ولا تُغطي المفهوم بأكمله"[2]، ويرى ألا تقتصر دراسة التأدب في العربية على الفصحى دون اللهجات العامية؛ لحضور التفاعل الاجتماعي بكثرة فيها[3]، ويرى أن الكناية عند العرب صورة من صور (التأدب)[4]، وأن أسلوب النداء في العربية له أهمية في مجال نظرية التأدب[5]، وتفق هشام الخليفة مع حاتم عبيد في أهمية الفصل بين مفهوم التأدب الأخلاقي والسلوكي ومفهوم التأدب وفق مصطلحه اللغوي الحديث[6].

هذه بعض آراء اللغويين العرب المحدثين حول ظاهرة التأدب، وهناك آراء كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، ولا تزال جهودهم مستمرة في مواكبة ما يُستجد حول ظاهرة التأدب.

[1] المرجع السابق، ص 34.
[2] المرجع السابق، ص 36.
[3] المرجع السابق، ص 44.
[4] المرجع السابق، ص 52.
[5] المرجع السابق، ص 47.
[6] المرجع السابق، ص 45.

المطلب الثالث: تطبيقات اللغويين العرب المحدثين لظاهرة (التأدب) اللغوية.

لم تقف جهود اللغويين العرب المحدثين عند حدود النقل أو طرح الآراء حول ظاهرة التأدب، بل تجاوزت ذلك إلى تطبيق المنقولات والآراء المقترحة على بعض المحادثات والنصوص العربية؛ إذ تنوعت هذه التطبيقات بحسب المنوال المعتمد في دراسة الظاهرة. ويجب الإشارة إلى عدم التزام بعض الدراسات التطبيقية العربية لظاهرة التأدب بمنهج واضح في التطبيق؛ حيث يبدأ بعضها بالجانب النظري حسب الترتيب المنطقي في عرض مناويل اللغويين الغربيين للظاهرة، ثم لا تلتزم منوالًا محددًا في دراستها التطبيقية للظاهرة، ولا شك أن ذلك يؤدي إلى خلط منهجي للدراسة، وربما يُخرج الباحث من مفهوم التأدب الحديث إلى مفهومه القديم الخاص بالجانب الأخلاقي أو السلوكي، وسأحاول-بناءً على الإشارة السابقة-عرض الدراسات التطبيقية الملتزمة بالمنهج العلمي الواضح فيما يأتي.

أولًا: ظاهرة التأدب في النصوص العربية التراثية:

تناول ظافر الشهري نصًا تراثيًا لمحادثة بين معاوية بن أبي سفيان وخريم الناعم، ونص المحادثة: "دخل خريم الناعم على معاوية بن أبي سفيان: فنظر معاوية إلى ساقيه، فقال: أي ساقين! لو أنهما على جارية! فقال له خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين! قال: واحدة بأخرى، والبادي أظلم"[1]. وقد اعتمد الباحث في تحليل النص على منوال براون ولنفسن ضمن (الأستراتيجية الصريحية)؛ حيث أكد الباحث بوساطة مفهوم الوجه اعتماد طرفي المحادثة على المدح الصريح، وقد ظهر ذلك في مدح معاوية ساقي خريم ووصفهما بالجمال، وأن في ذلك انتقاص من وجه خريم الدافع، أي: الوجه السلبي للمخاطب؛ حيث تعرض المخاطب للإهانة من قبل المتكلم، وهو ما جعل خريم بين خيارين من إستراتيجيات التأدب (الصمت) أو (التصريح)، واختار خريم التصريح باستخدام ما يحفظ ماء وجه المخاطب السلبي، بقوله: (في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين)، ويعلق الشهري على أثر عبارة النداء من خريم، في قوله: يا أمير المؤمنين؛ حيث استطاع خريم بوساطة النداء إظهار الاحترام للمخاطب، ويرى الشهري أن معاوية أنجز عملًا لغويًا يفيد الاعتذار مع الندم على العبارة المهددة لوجه المخاطب، بقوله: واحدة بأخرى والبادي أظلم[2].

[1] العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي، ج1، ص 52 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ).
[2] إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، من ص 108 إلى ص 109 (دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، 2003م).

ثانيًا: ظاهرة التأدب في الكتابات الأكاديمية العربية:

سعى حاتم عبيد إلى الكشف عن ظاهرة التأدب اللغوية الكتابة الأكاديمية، معتمدًا على ملاحظات مايرز المؤكدة لوجود الظاهرة في الكتابات الأكاديمية، وقد قام بتحليل بعض النصوص الأكاديمية العربية؛ للكشف عن إستراتيجيات التأدب السلبي الموجّه إلى قارئي النصوص[1]، وقد درس الظاهرة في بعض النصوص الأكاديمية العربية، ومنها نص الكاتب (عبدالمجيد الشرفي)، والذي يقول فيه: "ومن باب التذكير فقط، نشير إلى أن العالم الذي عاش فيه القدماء عالم تغلب عليه القداسة في كلّ مظاهره، وكان في الأفق الأخرويّ ماثلا في الأذهان في كل لحظة (...). ونذكّر كذلك إذا استثنينا فترة الإسلام الأولى..."[2]، وقد أشار عبيد إلى توظيف الكاتب عبارات التذكير؛ لتحقيق إستراتيجية المشاركة بين الكاتب والقارئ، ويشير إلى اعتماد الكاتب-أحيانًا-على صياغة أسئلة ثقافية وحضارية؛ لتحقيق الأرضية المشتركة بين أطراف المحادثة[3]. ويُشجع هذا النوع من الدراسات الباحثين اللغويين العرب على إمكانية دراسة الظاهرة في الكتابات العلمية من وجهة نظر تداولية[4].

ثالثًا: ظاهرة التأدب في المحادثات اليومية:

قام خليفة الميساوي بتحليل محادثة حيّة بين طرفين عربيّين؛ لإثبات وجود ظاهرة التأدب في المحادثات العربية اليومية، وفيما يأتي جزءًا من نص المحادثة بعد تحويلها إلى الفصحى:

أ: "السلام عليكم

ب: وعليكم السلام

أ: سامحني. هل بإمكانك منحي القلم؟

ب: لحظة واحدة. أملأ ما هو مطلوب في الورقة"[5].

وقد لاحظ أثر المعطيات غير اللغوية أثناء المحادثات اليومية في تكوين نظام التأدب؛ حيث تسهم حركات المتكلم ونظراته في إنتاج العمل اللغوي، ويقصد بذلك أثر السياق في تحقيق أعمال لغوية تأدبية،

[1] البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد7، من ص 93 إلى ص 95 (2018م).
[2] المرجع السابق، ص 112.
[3] المرجع السابق، ص 115.
[4] المرجع السابق، ص 103.
[5] تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، ص 259 (2021م).

ويصرّح بأثر ملامح الوجه في تحقيق التأدب من خلال الأدوار الأولى من المحادثة، أي: (السلام عليكم) و(عليكم السلام)، ويشير إلى أثر انحدار النغمة الصوتية للدورين الكلاميين الاستفتاحيين في تخفيف تهديد وجه المخاطب، ويؤكد توظيف المتكلم العمل اللغوي (سامحني)؛ ليكسب ود المخاطب، ثم يسمح له بإنتاج عمل لغوي آخر يفيد الطلب، بقوله: هل بإمكانك منحي القلم؟[1]، ويخلص بوساطة تحليل المحادثة السابقة إلى بعض الملاحظات، ومنها: تأكيد قدرة نظام التأدب اللغوي على إنتاج أعمال لغوي مرتبطة به، ويحدد بوساطة تحليل المحادثة اليومية بعض إستراتيجيات التأدب، بقوله: "ويمكن أن نضيف إلى ما توصلت إليه المقاربات السابقة مجموعة من الإستراتيجيات انطلاقا من تحليلنا للمحادثة نضبطها على أساس سلم تراتبي يوجه اختيارات المتكلم إلى إنتاج أفعال كلامية تأدبية"[2]، وهي: (الهدف، التفاعل، الإقناع، التواصل)[3].

رابعًا: ظاهرة التأدب في المحادثات التلفزيونية:

قدم سوادغو هارون تحليلًا لبعض المحادثات التلفزيونية في بحثه: (الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدب)، وقد تميّزت دراسته بالاعتماد على المحادثات المسجّلة في قنوات تلفزيونية؛ حيث يسهل رجوع القارئ إلى مدونتها وسياقاتها المؤثرة، وقد حاول الكشف عن الظاهرة بتحليل بعض المحادثات التلفزيونية، ومنها محادثة موضوعها (حرب غزة) ضمن برنامج (النقاش) في قناة (فرنسا24)؛ لإثبات قاعدة (التودد) في منوال (لاكوف)، وفيما يلي أدوار المحادثة:

1-"ع ق: تفضل أستاذ منير تفضل تفضل

2-م أ: أه يعني فعلا إي هو الكلام الي تفضل فيه ممثل جيش الدمار الإسرائيلي كلام إي مستفز يعني فعلا إلى المخاطب مع حركة مصاحبة لليد اليسرى وب حاول أن تجيب بصدق ألا تعي تماما صفة الجيش الذي يتكلم ب باسمه. هو جيش احتلال..."[4].

[1] تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، ص 261 (2021م).
[2] المرجع السابق، ص 268.
[3] المرجع السابق، ص 269.
[4] الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، ص 319، جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).

ويعلق (هارون) على المحادثة، بقوله: "... فالمتكلم لجأ إلى هذا التودد الظاهر-على ما يبدو- لإيصال رسالة ضمنيّة مفادها أن ما يبديه من آراء لا تجعل منه منحازا للطّرف الشّماليّ على حساب الطرف الجنوبي. والتّودّد على هذا النّحو وفي مثل هذا السّياق يُمتطى ليكون إستراتيجية ذات بعدين في الآن الواحد،..."[1].

ويحاول هارون الكشف عن ظاهرة التأدب بوساطة تطبيق منوال براون ولفنسن على بعض المحادثات التلفزيونية، ومنها:

"ل ن: سيدي سيدي الكريم سأجيبه سأجيبك لأنك"[2].

ويشير هارون إلى تلفظ المتكلم بما يفيد الوعد فيما سبق، بقوله: سأجيبه، سأجيبك، ويؤكد فائدة التكرار في الإلحاح والعزيمة على التنفيذ[3].

ويستمر هارون في محاولة الكشف عن ظاهرة التأدب بوساطة تحليل محادثات أخرى من برامج تلفزيونية وفق مناويل التأدب المقترحة من اللغويين الغربيين، مثل: منوال (ليش)، وشملت تطبيقاته تعديلات أركيوني المقترحة على منوال بروان ولنفسون[4]. وليس من الصواب-في نظري-تحليل المحادثات وفق مناويل التأدب المقترحة جميعها في دراسة واحدة، لكن الباحث أراد من ذلك بيان آراء اللغويين الغربيين للظاهرة وطرقهم المعتمدة في دراستها، وقد صرح عن ذلك بقوله: "أما الفصل الثّالث والأخير، فهو دائر على الشّق الأخير من موضوع الرسالة، وهو-أعني الفصل الثّالث والأخير-بمنزلة موضوع فرعيّ متمّم للموضوع الرئيس للرّسالة وليس مخصّصا له"[5]، أي: أن دراسة ظاهرة التأدب ليس موضوع البحث الرئيس، ولم يلتزم في تحليل المحادثات منوالًا محددًا؛ لأن الغرض من الدراسة إثبات وجود ظاهرة التأدب للقارئ العربي بوساطة تحليل المحادثات التلفزيونية.

هذه أهم تطبيقات اللغويين العربي تجاه ظاهرة التأدب اللغوية، ولا تزال تطبيقاتهم مستمرة في تحليل المحادثات أو النصوص العربية وفق نظرية التأدب.

---

[1] المرجع السابق، من ص 318 إلى ص 321.
[2] المرجع السابق، ص325.
[3] المرجع السابق، ص324.
[4] المرجع السابق، من ص 322 إلى ص 359.
[5] الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، صفحة (ت) في المقدمة، جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).

خاتمة

اتضح لنا مما سبق اهتمام اللغويين العرب المحدثين بظاهرة التأدب؛ فنقلوا أهم آراء اللغويين الغربيين ومناويلهم المقترحة، ولم تقف جهودهم تجاه ظاهرة التأدب عند حدود النقل، بل كانت لهم آراء خاصة حول ظاهرة التأدب في التراث اللغوي العربي؛ حيث أكد بعض اللغويين العرب المحدثين: أن التأدب في التراث العربي النحوي والبلاغي ظاهرة لا ترقى إلى مستوى المبحث القائم بذاته، وإنها إشارات عامة مبثوثة ضمن مباحث نحوية وبلاغية[1]، وعليه فإن الفضل للغويين العرب القدماء في الإشارة إلى التأدب وللغويين الغربيين المحدثين في دراسة ظاهرة التأدب بوصفها نظامًا لغويًا قائمًا بذاته، واتضح لنا جهود اللغويين العرب المحدثين من خلال تحليل المحادثات والنصوص الأكاديمية العربية؛ لإثبات وجود ظاهرة التأدب في المحادثات والنصوص العربية، وهي جهود مستحقة الشكر، ولا تزال هذه الجهود مستمرة ومواكبة كل ما يُستحدث حول الظاهرة. وإن كان لنظرية التأدب بمفهومها الحديث عند[2] العرب جناحان، فإن الجناح الأول يمثّله ما قدمه حاتم عبيد، ويمثّل الجناح الثاني ترجمة هشام الخليفة لكتاب (نظرية التأدب) لمؤلفيه بروان ولنفسن؛ حيث تنوعت جهود حاتم عبيد في كتابته عن ظاهرة التأدب بين التنظير والتطبيق، وقد حقق فضل الأسبقية-من وجهة نظري-في إضافته إلى المكتبة العربية عن ظاهرة التأدب، أما هشام الخليفة فقد امتاز عمله في ترجمته لمنوال بروان ولفنسن؛ لأهمية منوالهما في دراسة الظاهرة، وقد كانت جهوده واضحة في الترجمة؛ حيث أسهمت في تسهيل الفهم على القارئ العربي إضافة إلى حل بعض الإشكاليات المتعلقة ببعض المصطلحات المترجمة، ومنها الفصل بين مصطلحي الاستلزام الحواري والتلويح الحواري.

[1] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، ص 116 (2014م).

[2]

المراجع:

إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، 2003م).

البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد 7، (2018م).

البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية من وجهة نظر لسانية تداولية: نظرية التأدب أنموذجًا، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، العدد 2، (2015م).

تحليل الخطاب، براين بالتريدج، ترجمة: د.عبد الرحمن الفهد، (دار جامعة الملك سعود، 2018).

تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأدب، خليفة الميساوي، مجلة اللسانيات العربية، العدد 13، (2021م).

تداولية مبدأ التأدب في إنجازيه الفعل الكلامي، عبدالحليم بن عيسى، رفوف، العدد9، (2016م).

الخطاب التفاعلي في برامج حواريّة متلفزة، آليات التفاوض وإستراتيجيات التأدّب، سوادُغو هارون، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، الرياض (2021م).

الخطاب التفاعلي، كاترين كيربرات أوريكيوني، ترجمة حاتم عبيد، فصول، العدد 77، (2010م).

العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي، ج1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ).

القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، (دار سيناترا، تونس، 2010م).

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م).

معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومنيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، (المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008).

نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، بروان ولنفنسن، ت. هشام الخليفة، (دار كنوز، عمان، 2023م).

نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، عالم الفكر، مجلد43، العدد1، (2014م).